الطائفتين وهما الميكروبات والدقائق الصحيحة التي يتألف منها جسم كل حي وكلاهما يختار وسطاً للنزال حيثما يلتقيان سواء كان في مجري الدم او في شعريات الانسجة. فلا ترى تحت عدسة النظارة المكبرة الاَّ ميكروباً يموت وآخر يتولد وغيره ينمو والكريات الصحيحة طارة تجتمع وتنقض على عدوها وطوراً تفترق وتجدد قواها وتخترق صفوف الميكروبات المرضية فتغلب وتغلب ويدوم الحال على هذا المنوال حتى يتاح النصر لفيئة منهما كما يأتي

يحقن الفعل الملسوع كما تقدَّم ويصير حويصلة حساسة بقدر حبة السمسم غير ان المصاب لا تتوقف بسبب الاكلان فتتمزق الحويصلة ويخرج منها سائل يجف في مدة ٢٥ ساعة مكوناً من مصلها مادة صلبة تتحول زرقتها تدريجاً الى لون اصفر. فهذه المادة المتقشرة تكبر في اليوم الثالث من تاريخ تلقيحها وتصير قاسية غير حساسة وتبعث من الجيوش التي تألفت منها نجدة الى الداخل وتغتك بالقسم المجاور لها فتكاً ذريعاً حتى يرم وتشوه السحنة من ضخامة الورم المنتشر. فاذا تغلبت الكريات الصحيحة المذكورة آنفاً تكون حول المادة المتقشرة صديد ممدوح يدل على انكفاء شر الميكروبات المرضية عنها وهلاك الوفها فيأخذ الورم بالتناقص وتأخذ الاعراض العامة بالتحسن حتى يبشر بالشفاء. والعكس بعكس ما تقدم يخرج من البورة المتقشرة سائل مائع ذو رائحة قليلة ويصفر البيض وتضعف القوى ويجف اللسان ويسود وتتزحج العينان واخيراً يظهر السبات والموت

احسن علاج للبثرة المذكورة آنفاً استعمال محل اللسعة وكيّها بالنار قبل حدوث التسمم وبذلك يخور المصاب ويدفع المرض. ويجب على المجالس البلدية ومشايخ القرى ان يأمروا بتلافي اسباب هذا الداء وذلك بدفن اشلاء المواشي التي تموت وطمرها بكثير من التراب

السيل في أفريقية

الذين ولدوا في القطر المصري وعاشوا فيه ولم يروا الاَّ نيلهُ المبارك ينبض رويداً رويداً في فصل معلوم من السنة ويبلغ فيضانهُ حداً محدوداً لا يتعداهُ الاَّ نادراً ثم ينخفض رويداً رويداً الى ان يبلغ حداً لا يتعداهُ ايضاً ولاسيما بعد ان انتظم الري — الذين لم يروا غير ذلك لا يفهمون معنى السيل والفيضان ولكن هذا الانتظام في فيضان النيل يسبقهُ ما لا يوصف من السيول في قلب افريقية تخللها اوقات قيظ يبس فيها النبات ويموت كل حي عطشاً. وقد وصف بعضهم سيلاً اصابهُ وهو في جنوبي افريقية وهو مما يحدث غالباً في قلب هذه القارة قال

قصدت مناجم الماس انا ورجل اسمهُ متشل منذ عشرين سنة ولم تكن سكة الحديد قد وصلت اليها فابتعنا مركبة وستة ثيران واخذنا استعنا برجلاً لسوق الثيران وقنا من بورت اليصابات في جنوبي افريقية بسكة الحديد الى حيث كانت تنتهي حينئذٍ. ثم ركبنا مركبتنا وسرنا شمالاً وكان المطر قد انقطع منذ زمن طويل وفاضت الانهار ويبس النبات فاخترنا طريقاً طويلاً في بلاد لم يشتد فعل القيظ بها فنجد فيها مرعًى لثيراننا وحشائش الثيران جهدنا حتى تبلغ مناجم الماس قبلما تقع الامطار. ولما بلغنا نهر السمك وهو نهر كبير هناك لقينا بعض المكارين فقالوا لنا ان الامطار شرعت تهطل وانهُ الاجدر بنا ان نقطع النهر في اقرب مخاضة نصل اليها والاَّ تعذَّر علينا قطعهُ اياماً كثيرة. ووصلنا الى المخاضة فوجدنا الماء فيها اعمق مما وجدناهُ في اسفل النهر اول ما وصلنا اليهِ ولما لم يكن لنا بدٌّ من قطعها عزمنا ان نريح الثيران اولاً لكي يسهل عليها جر المركبة في الماء. ولكننا لم نقم طويلاً حتى هطلت الامطار فقرنَّا الثيران وقادها السائق وخضت انا ورفيقي متشل على جانبيها لكي نحثها على السير وكان الماء الى الصدر ولم نكد نبلغ وسط النهر حتى سمعت هديرًا يهيم الآذان فالتفتُّ الى ورائي واذا انا بجبل من الماء والاشجار المقتلعة يجذروعها يجري نحونا متدفقاً. وقد قدَّرت في اول الامر ان ارتفاعهُ مئة قدم او اكثر فوقفت مبهوتاً نحو نصف دقيقة لا ادري ماذا افعل ولا ماذا اقول ثم ناديت رفيقي وقلت لهُ انظر ما وراءك ولم اكد اتم كلامي حتى وصل اليَّ ذلك السيل الجارف وقلبني رأساً على عقب وانقلبت المركبة على جنبها وجوت مع السيل وجريت انا ايضاً بسرعة لا تصدق. ولا اعلم حتى الآن كيف نجوت ولم تطم بي المركبة ولا الثيران وكنت ارائي جارياً بجانبها وهي مقلوبة على ظهورها تختبط بايديها وارجلها وتكاد تختنق من الربط التي حول اعناقها وكان معي سكين كبير في منطقتي فاخرجتهُ وقطعت بهِ رباط ثورين منها كانا بجانبي ثم سبحت الى الامام وقطعت رباط الثورين المقدمين وبقيت انا والمركبة وثوران مقرونان بها فدفعنا السيل الى مجتمع من الاشجار والاغصان والجذور فعلقنا بها وعجز السيل عن جرنا فامسكت باغصان الاشجار وصعدت من الماء وانا على آخر رمق. وحلَّ رباط الثورين فعلقا بالاشجار وكانت في مرتفع من الارض فصعدا عليها

وخطر ببالي رفيقي فالتفتُّ الى ورائي واذا هو على بضع اقدام مني وبجانبهِ ثوران ولم يكن يعرف السباحة مثلي فدفعت نفسي اليهِ وامسكتهُ بطرف ثوبهِ وجررتهُ الى حيث كنت ممسكاً بجذور الاشجار وصعدنا كلانا من الماء ثم التفتنا الى النهر وكان جدولاً صغيرًا منذ دقائق قليلة واذا هو الآن يتدفق ويجيش ويزأر كأنهُ بحر عجاج وتجري فيهِ الاشجار الكبيرة

كأنها عصافة تحملها الرياح فحجبنا من نجاتنا منهُ. وقد حدث كل ذلك فجأةً حتى لم يكن لنا فرصة للنظر في ما وصلنا اليهِ من سوء الحال ولم يكن يخطر لنا الاَّ كيف نجو من الليل

وكان المطر ينصبُّ علينا كأنهُ من افواه القرب ولسان حالنا يقول انا الغريق وما خوفي من البلل . وكان الجو مظلمًا قاتمًا لا نرى فيهِ شيئًا غير البروق ومضت ساعة زمانية ونحن على تلك الحال ينظر احدنا الى الآخر. وقد كنا تهزأ بالمخاطر ونحسب ان لا شيء يضعف عزائمنا فاصبحنا في ساعة لا مأوى لنا ولا مأكل ولا ملبس ولا شيء من متاع الدنيا على ضفة نهر في تلب افريقية تصبُّ علينا الامطار ولا واقي لنا منها او من الضواري. ولم نحاول الكلام لاننا كنا لا نسمع اصواتنا

ثم قلَّ هطول المطر رويدًا رويدًا وانقشعت السحب وبعدت البروق والرعود ولم نمضِ نصف ساعة اخرى حتى اشرقت الشمس فنهضنا على اقدامنا ونظر كلٌّ منا الى صاحبهِ ولكننا لم نسترسل في البكاء بل استرسلنا في الضحك. ضحكنا على انفسنا وعلى ما اصابنا. ضحكنا وليس ضحك الاستهزاء والاستخفاف بل ضحك الحيرة والارتباك ولو رآنا حينئذٍ اشدُّ الناس حنانًا ما ملك نفسهُ من الضحك علينا

ولكن مضت آونة الهزل حالاً واتت آونة الجد فنهضنا نفتش عن سائق المركبة وبقيَّة الثيران وذهبنا الى المركبة اولاً فوجدناها لم تزل عالقة باغصان الاشجار وقد انخفض السيل عنها ووجدنا الثورين يرعيان على مقربة منها وقد نجيا بانكسار عريشها. وصعدنا اليها فوجدنا كل ما كان فيها مبلولاً تالفًا الاَّ الثياب فانها ابتلت فقط فاخرجناها منها ونشرناها في الشمس ثم اخذنا نفتش عن السائق فلم نجد كثيرًا حتى رأيناهُ ماشيًا على الضفة الاخرى مع ثورين من الثيران ورآنا هو ايضًا فجعلنا نتكلم بالاشارة وفهمنا منهُ انهُ سيبذل جهدهُ لعبور النهر الينا حالما ينخفض ماؤهُ واطمأنَّ بالنا عليهِ لان ابناء البلاد يعرفون كيف يعيشون فيها. وكنا قد رأينا بيتًا في طريقنا يسكنهُ احد الانكليز المستعمرين فقصدناهُ ورحَّب صاحبهُ بنا واطعمنا وآوانا تلك الليلة وارسل معنا ١٦ ثورًا في اليوم التالي ونفرًا من الرجال فربطوا المركبة وجروها الى البر فاصلحنا ما تكسَّر منها واشترينا ثورين بدل الثورين الذين جرفهما السيل وعاودنا السير الى ان بلغنا منتجم الماس

ولا تكاد سيرة رجل من هؤلاء الاوربيين روَّاد افريقية تخلو من مثل هذه المخاطر لكنهم يتجشمونها عن طيب نفس عالمين ان الحياة جهاد مستمر ومن لا يغالب الطبيعة لا يتغلَّب عليها. وهؤلاء يجاهدون ويغلبون المشاق ويتجشمون المخاطر ورجال الاموال يقعدون في بيوتهم يديرون حركات الاشغال فيكسبون المكاسب الطائلة من غير تعب ولا نصب ويعيشون بالرغد والرفاهة. لكن نظام العمران يقتضي هؤلاء كما يقتضي اولئك فلا بدَّ لهُ منهما كليهما